وكنّا على مأدبة عشاء بعد أحد سباقات الخيل في بريطانيا: أنَت من أكبر مّلاك الخيل في العالم، ماذا يعني لك امتلاك خيل عظيمة؟ ولكن لأن الإجابة لا يمكن اختصارها في كلمات سريعة. فالخيل عند العربي لها علاقة بالشرف وعلاقة العرب بالخيل قديمة يصل عمرها إلى أكثر من تسعة آلاف عام، اكتشف العرب أنها خير صديق للفارس فسموها فرساً. فاقتربوا منها واقتربت منهم، وأخذت اسمها منهم "الحصان العربي"، والعربي يعامل حصانه مثل عياله، فيبادله الحصان مشاعَر الوفاء والحماية في تاريخنا العربي القديم اندلعت حرب استمرت أربعين عاماً بسبب خيل؛ لسُت أفاخر بتلك الحرب أبداً، لكن للدلالة على مكانة الخيل في نفس العربي. فرس جمعت بين الجمال والسرعة والقوة. في السرعة هي كما قال الشاعر: َكـ ـُجْلـُمْوِدَصـْخٍرَحطَّهُالسَّسـْيُلِمْنَعِل وفي الجمال كما قال آخر: يكادلولااسماللهيْصحُبُه تأكُله عيوننا وتشَرُبُه إلا أن شيخ القبيلة كان يرفض باستمرار بيعها أو التنازل عنها. راجياً منه أن يكون ضمن خدمه وعّماله أو أحد الرعاة وبدأ ذلك الفارس في عمله في رعاية الجمال التي يمتلكها شيخ القبيلة. علم أن كحيلة تخرج يومياً بعد الظهر لترعى في أحد السهول القريبة لتعود قبل المساء مع وكان لجامه في يده دوماً، ونزل النبأ على شيخ القبيلة وابنه كالصاعقة، فانطلقا نحو الإسطبل وركب كل منهما حصاناً، وأسرعا خلفه حتى لحقا به لأنه غريب ولا يعرف دروَب الصحراء التي يسكنونها. وكان برق يركض على أرض مستوية فاستطاع الاقتراب منها. بدت علامات الضيق الشديد والحزن على شيخ القبيلة، ثم صرخ بأعلى صوته على اللص: خذها يساراً إلى الأرض المستوية، خذها يساراً إلى الأرض القاسية. هكذا كان حّب العرب لخيولهم. ضحى الشيخ بها حفاظاً على سمعتها واسمها ومكانتها بين القبائل. كان عندي حصان أحببته كما أحَّب ذلك الشيخ "كحيلة". والخيل العظيمة لها علامات. انظر إلى ما تنظر إليه الخيول! بعضها تجفل وتحرك ذيلها لمجرد رؤية أي شيء غريب يمرّ من أمامها، تخبرك نظرات الحصان ما إذا كان قائداً أو تابعاً. العيون الواسعة عند الخيل هي كالوجه البشوش الصريح عند البشر، ولا يقتصر الأمر على حجم العيون، بل أيضاً بريقها ولمعانها وعمقها وكأنها محيطات لا تنتهي. ولكنها تعني بكل تأكيد أنه غير مستعد أو غير راغب بتسخير تلك الموهبة والقدرات. أما العيون الضاحكة أو الناطقة فتدّل على مدى سهولة الاعتناء بالحصان وتربيته. بل وتحدي مدربيها إذا لم يفهموا قدرات ووجه الحصان يخبرك بالكثير أيضاً عنه، فالأذنان المتباعدتان دليل على عظمة هذا الحصان، وما يفصل بين هاتين الأذنين هو جبهة غنية واسعة. وهذه السمة تخبرك بحجم دماغ الحصان. فهي ليست علامة على السرعة، وإنما علامة على أن الحصان قادر على فهم ماُيطلب منه، وبالتالي التفاعل بشكل صحيح في المواقف كان يتمتع بجلد ناعم ولامع تظهر من تحته وبالذات وريد القلب الذي بدا واضحاً، أما فتحتا الأنف فهما علامة على الحصان الرياضي. عندما تكون الفتحتان كبيرتين وواسعتين، فذلك يعني أن الحصان سيحصل على كمية كبيرة من الأكسجين، والفتحتان الكبيرتان للأنف تعنيان وجود رئتين كبيرتين والفم الواسع أيضاً من علامات قوة الحصان وسرعته، وهي علامة على أن المكان الذي توجد فيه القصبة الهوائية كبير، وأن القصبة الهوائية نفسها كبيرة. ولكن تدلي الرقبة وتدفّقها في الجسم يجب أن يكون مثالياً وفي المنحنى الصحيح. ولعّل أهم سمة تساعد في الحكم على الخيول هي مشيتها. تملك الخيول نسباً محددة وخاصة ترسم ملامح مشيتها، وعندما ترغُب بتقييم هذه النسب والحصان يقف أمامك فيجب أن تكون المشية متناسبة وكان مثالياً بكل خصائصه ومقاييسه. كان يملك أذنين جميلتين متباعدتين بأطراف دقيقة كنهاية أقلام الريشة. فكانت واسعة مستدقّة على عظم رقيق على شكل هرم معكوس. وبدت العضلات فوق حاجبيه أيضاً على شكل هرم تغطيان عينين جميلتين تفيضان باللون الأزرق. كان يتمتع بجلد ناعم ولامع تظهر من تحته مئات الأوردة، وبالذات وريد القلب الذي بدا واضحاً، ولكنهما لطيفتان وناعمتان في الوقت نفسه. كان ضخماً ومغواراً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وأجلس هناك وأنظر إلى هذا المخلوق بإعجاب. يحّدُق كٌل منا في وجه الآخر. كنُت أجلس على صندوق الأعلاف الذي كان ارتفاعه يصل إلى مستوى صدره. عندما كان يسير نحوي نكون بالارتفاع نفسه. يا لها من متعة تلك التي كنُت أشعر بها عندما يشاركني حصان عظيم وعملاق لحظات كهذه وبهذا الشكل. كنُت أكتفي بالجلوس هناك، والنظر إليه بإعجاب وحب لساعات.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي